

من أدركه فضل الله ورحمته كان من أهل الكتاب المجيد والملازمين لتلاوته

القرآن .. ضماناة للعيش السعيد والموت الحميد



إذا أردت أن تعيش سعيداً فعش مع القرآن، قال تعالى (مَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ بَرْدٌ) وبرحمته فيذلك فليقرءوا هو خير مما يجمعون (يونس: 58)، قال بعض السلف: «فضل الله الإسلام ورحمته القرآن»، وقال بعضهم: «فضل الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أمته».

فمن أدركه فضل الله ورحمته كان من أهل القرآن، ومن كان من أهل القرآن رزقه الله فرحاً يجده في قلبه، فرحاً حقيقياً ناجماً عن سكنو القلب وإطمئنانه (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئنن القلوب) (الرعد: 28)، وإذا أردت أن تموت حميداً فعش مع القرآن، وإليك أخي الكريم هذه الطائفة من القصص نحكي لك فيها اللحظات الأخيرة من حياة بعض حاملي القرآن عبر تاريخ المسلمين.

فهذا عبد الله بن عباس ترجمان القرآن الذي دعي له النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) فوهب حياته لتعلم القرآن وتفسيره، ومن أحكام وأسرار. يعتمد على تفسيره كل من أتى بعده، قل على هذا الحال حتى مات قلماً ذهباً به ليدفوه داخل نعشه طائر لم ير مثل خلقته من قبل ولم ير خارجاً منه (يا أيها النفس المطمئنة) (الفجر: 27) وسمعوا بعد دقته صوتاً على شفير القبر لا يدري من القائل (يا أيها النفس المطمئنة أرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي واخلي جنتي). (صححه الهندي في مجمع الزوائد 285/9، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء 358/3 هذه قصة متواترة).

وأخر وهو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني صاحب القراء المشهورة من القراءات العشر رجل عاش حياته للقرآن وعى القرآن في صدره فلما مات غسلوه فنفثوا ما بين نحره وفؤاده - منطقة الصدر - كورة المصحف فيقول ناقد مولى ابن عمر وهو ممن غسله: فما شك من حضره انه نور القرآن. سير أعلام النبلاء للذهبي 287/5.

أما شيخ الإسلام ونحلة الأنام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الذي عاش حياته في سبيل الله، يجاهد بالكلمة واللسان، سجنه أعزاده في آخر حياته فانكب على تفسير القرآن، نزعوا الأوراق من بين يديه فكان يكتب على الجدران، حتى منهوه من الأقالم فانكب على تلاوة القرآن يتخلله الخشعة تلو الخشعة حتى كان آخر شيء قرأه قبل أن يموت (إن اللقيط في جنات وهو في مقعد صدق عند مليك مقتدر). قد يقول قائل: هذه قصص السابقين وحكايات الغابرين، أما الآن فلا يوجد مثل ذلك. نقول له: لا بل لا يزال الله يظهر حسن خاتمة من تمسك

بكتابه ليلدك على صدق هذا الكتاب الذي من تمسك به نجا. فهذا شيخ القراء بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة الشيخ عامر السيد عثمان، ابتلاه الله قبل وفاته بسبع سنين بقطع أحياله الصوتية فأصبح قارئ القرآن بلا صوت، هل يسكت أو ينأى ويعجز؟ لا بل ظل يدرس لتلاوته عن طريق حركة الشفاة والإيماءات والشهيق حتى جاءه مرض الموت فأصبح قصيد الأسرة البيضاء في المستشفى، وقبل وفاته بثلاثة أيام سمعه أهل المستشفى يقر القرآن بصوت جهوري عذب ندي لمدة ثلاثة أيام حتى ختم فيه القرآن من الفاتحة إلى الناس، ثم أسلم الروح إلى بارئها فرحمه الله رحمة واسعة، (الجزء من جنس العمل للعقاني 2/ 434) نقلاً عن المجلة العربية (عدد 171 ص70).

فانظر لنفسك أخي في الله أي خاتمة تحب أن تختم حياتك بها، فإذا أردت حسن الخاتمة فالحق بهذا الركب واحفظ القرآن وتدر به وأعمل به كي تكون من الناجين نسأل الله حسن الخاتمة.

الصالحات القانتات .. وصورة من السيرة

في رُحمة الحياة واشتداد صحتها ونوالها جوادنها وكز إيمانها ينسئ الإنسان كثيراً وتتابع حلقات الإنسان لتخل العنق باغلال الأرض ويلتصق بها مؤثراً إيماناً بل ربما يجعلها الآخرة والأولى والليداً والمتتهي، من هنا جاءت أهمية الذكرى لتنتشع غمامات الخلة عن عين البصيرة وسردك الحقيقة، والسلف رضوان الله عليهم وهم القدوة حالات نثني بآثار اليقظة، ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقف اليوم يلقي ما يجد من الدل ما يصل به بطنه، والدل هو ردي التمر.

ورم أبو هريرة رضي الله عنه يقوم بين أيديهم شاة مصلية، فدعوه فأبى أن يأكل، وقال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خير الشعير.

ونكرر هذه الحالات في صور شتى ومواقف مختلفة ولندكرى بريقتها وبريقها، بها نامل وتامل، ثم البس من حق الروح أن نتحق في سماء الوفاء؟

إذا أردت ذلك فعا عليك إلا أن تصاحبنا في لحظات من يقظة القلب وبصيرة العقل وحياة الروح مع هذا الحديث قالت عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدا بي فقال: «إني ذاك لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمرني أيوب»، قالت: وقد علم أن أبواي لما يكونا يامراني برفقة، قالت: ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال: «يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها، إلى قوله، «أجراً» عليهما، قالت - فقلت: ففي أي هذا استأمر أيوب، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً فعلت»، أخرجه البخاري ومسلم.

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ولأهل بيته معيشة الكفاف، لا عجزاً عن حياة الكفاف وإنما استعلاء بنفسه نوقن أن الآخرة خير لها من الأولى وأنها الأولى، جاءه جبريل عليه السلام بمفاتيح خزائن الأرض فقف عنها وتركها واتر الآخرة



حرم الله على عباده أشياء معينة صيانة لأنفسهم وحماية لدينهم وعقولهم وأعراضهم

قال الله تعالى مبيناً سمة شريعة الإسلام: «الَّذِينَ يَبْغُونَ الرِّسَالَ الدِّينِ الْأَسَى الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي الصُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ».

وما جعل الله هذه المحرمات للتضييق على العباد، فشرع الله يسر كله ورحمة كله «مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثْغَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَبْلُغَ آخِرُ أَجَلِكُمْ وَلِكُنْتُمْ مِنَ الْغَائِلِينَ» (البقرة: 187) «يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا».

إنما حرم الله على عباده أشياء معينة صيانة للعباد أنفسهم وحماية لدينهم وعقولهم وأعراضهم وأنسابهم.

وإذا التزموا بتحريم المسكرات والمخدرات حفظت عقولهم، وإذا التزموا تحريم قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وأنسية الجيران شاعت المودة والألفة والرحمة.

فأي سمو في التشريع هذا الذي عليه تشريع الإسلام!

لكن إذا نظرنا إلى الواقع لوجدنا فئات من الناس قد استهان بالمحرمات فتجرات عليها غير مبالين بنظر الله تعالى إليهم، وقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن المنافق يرى ذنوبه كذباب وقع على نفسه فقال به هكذا».

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من التهاون بالمحرمات وإن ظن العبد أنها

استهانة العبد بالمحرمات .. دليل على ضعف الإيمان



كتب ربنا على نفسه الرحمة فضلاً منه على عباده فأباح لهم الطيب النافع وحرم عليهم الخبيث الضار

ليست كبائر الذنوب فقال صلى الله عليه وسلم: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكته»، وضرب لهم مثلاً فقال: «كمثل قوم تزلوا أرض فلا تحضر صنع قوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سواداً فأججوا نارا، وانضجوا ما قدفوا فيها».

ومحقرات الذنوب هي ما لا يبالي المرء به من الذنوب، وما يعدونه صفاراً، لأن إيمان الصغار يودي إلى ارتكاب كبائر، إن العبد إذا كان قوي الإيمان تخرج من كل معصية صفرة أو كبرت لأنه ينظر إلى عظمة من عصاه، أما إذا ضعف الإيمان عند العبد فإنه يتجرأ على المعاصي ويستهن بها كما بين النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يزيي الزاني حين يزيي وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن».

فاستهانة العبد بالمحرمات وشعوره أنه لم يفعل شيئاً هو جدد ذاته دليل على ضعف الإيمان، وهو أيضاً سبب لتعظيم الذنب بحق مرتكبه كما أكد على ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله: ويذكر على هذه المعنى ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا لنعددها

فضل سورة الفاتحة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقلياً من فوقه فرقع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أتيتكما، لم يؤتكما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة «البقرة». (ابن تقرأ بحرف منهما إلا أعطينه) رواه مسلم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنزلت في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلاً، وإنها سبع من المثاني، والقرآن العظيم الذي أعطينه.. متفق عليه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبيدي ما سأل، فإذا قال العبد: «الحمد لله رب العالمين»، قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: «الرحمن الرحيم»، قال: اللتي علي عبدي، فإذا قال: «مالك يوم الدين»، قال مجدني عبدي، وإذا قال: «إياك نعبد وإياك نستعين»، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبيدي ما سأل. فإذا قال: «اهدنا الصراط المستقيم». صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين»، قال: هذا لعبيدي، ولعبيدي ما سأل.. رواه مسلم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

عن أبي سعيد الخدري قال: عن أبي سعيد الخدري قال: كنا في مسير لنا فنزلت فجاءت جارية فقالت إن سيد الحي سليم وإن نقرنا غيب فهل منكم راقٍ فقام معها رجل ما كنا نأبىه برقية فرقاه فبنا فامر له بلالين شاة وسقانا لبنا فلما رجع قلنا له أكتت تحسن رقية أو كتت ترقي قال لا ما رقيت إلا بام الكتاب فلنا لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي أو نسال النبي صلى الله عليه وسلم فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال وما كان يدريه أنها رقية اسموا واضربوا لي بسهم).. (رواه البخاري).

حذر النبي صلى الله عليه وسلم من التهاون بالمحرمات وإن ظن العبد أنها ليست من كبائر الذنوب

ويتبع تلك الشهوات يُبطل بالاستهانة بالمحرمات وإذا وصل إلى هذه الحال فربما سقط من عين الله تعالى، كما قال بعضهم في أمثال هؤلاء: هانوا على الله فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم.

وقال الله تعالى: «وَمَنْ يُنِ الله فَمَا لَهُ مِنْ نَفَعٍ».

فلا تكلم من تيسرت له أسباب المعاصي أن ذلك بذكاته ولهفته أو جماله وحفته، إنما ذلك والله لطفاته على الله وسقوطه من عين ربه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أراد أن يعلم ما له عند الله، فليتلز ما له عنده، ومراقبته، رواه الدارقطني، وأبو نعيم في الحلية، وزاد الحاكم: «فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه».

فليس تحضر العبد عظمة ربه وإطلاعه عليه ومراقبته إياه: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ»، «لَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ».

ثم ليؤكد أنه سيفق بين يدي ربه يوم القيامة: يا رب، ألم تجزني عن الظلم؟ أقول: بلى، فيقول: (إني لا أجزي عن نفسي إلا شاهداً مني، فيقول: «كفى بنفسك اليوم عليك خسباً»، وبالكرام الكاذبين شهوداً فحُتِمَ على فيه، ويقال لأركانه: انطلق، فتطلق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: يُعَدُّ لَكِنْ وَصَحّاً، فعُتِكَ كَتَبَ أَضَلُّ».

فحري بنا أن نحاسب أنفسنا اليوم قبل أن نحاسب غدا.

العمر ينقص والذنوب تزيد ونقال عثرات الفتي فيعود هل يستطيع جود ذنب واحد رجل جوارحه عليه شهود نسأل الله أن ينوب علينا، وأن يجعلنا ممن يعظمون حرماته ويقفون عند حدوده، وصلى الله وسلم وبرك على نبيه محمد وآله وصحبه والتابعين.